

ريادة المغاربة في القواعد الفقهية

من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري.

The Leadership of Moroccans in Jurisprudence Rules

during the period from the eighth century AH to the fourteenth century AH

محمد عبد الله الشواف

Muhammed Abdallahi Shewaf

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (المغرب)

Chewav2010@gmail.com

تاريخ القبول: 2022-04-14

تاريخ الاستلام: 2022-03-26

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور: بل وريادة المدرسة المغربية المالكية في فن القواعد الفقهية. فالمطلع على المسيرة التاريخية لهذا الفن؛ من خلال (القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري) يجد أن أبا عبد الله المقرئ (758هـ) من خلال تأليفه في "القواعد الفقهية" قد أصبح مرجعا أساسيا لكل من ألف بعده؛ حيث جاء أبو العباس الونشريسي (914) وقام بتأليف كتابه: "إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك" وفي القرن ذاته ظهر نظم الإمام علي بن قاسم الزقاق: "المنهج المنتخب في قواعد المذهب": والذي كان هو الآخر مؤسسا للتأليف عن طريق أسلوب النظم؛ حيث يمكن اعتباره أول نظم في القواعد الفقيه في مذهب مالك. وهكذا تتابعت المؤلفات من قبل هذه المدرسة؛ سواء كان على مستوى (النثر) أو (النظم)؛ حتى كثرت التأليف؛ وأصبحت المكتبة المالكية تزخر بهذه المؤلفات

Abstract:

A person familiar with the historical process of this art, through (the 8th to the 14th Century AH), will find that Abu Abdulla Al-Maqarri (768 AH) through his authorship in "The Jurisprudence Rules" has become an essential reference for everyone who wrote after him, as Abu Al-Abbas Al-Wansharisi (914) came and authored his book: "Illustration of the Paths in the Qawaeid (rules) Of Imam Malik." In the same century, Imam Ali Bin Qasim Zaqqaq wrote the "The Chosen Method in the Rules of the Madhhab"; and became the founder of the authorship by the method of the system; which can be considered as the first system in the rules of jurisprudence in the doctrine of Malik. Thus, the writings by this School followed;

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

whether at the level of (prose) or (writing) until composing or book writing abounded, and the Maliki library became abounding with these books.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد

لما كانت القواعد الفقهية مرجع مجتهد المذهب، والقواعد الأصولية مرجع المجتهد المطلق والفروع مرجع المقلد؛ كان أهل كل مذهب يجتهدون في التأليف فيها، ومنذ أن بزغ فجر علم هذه القواعد والعلماء يتنافسون، وفيه يؤلفون، وعلى جميع المستويات، فمنهم المختصر، ومنهم المطول.

وفي كل مذهب من المذاهب ظهرت مؤلفات، ولم يكن مذهب الإمام مالك بدعا من هذه المذاهب، بل كان في صدارتها، وكيف لا! وهو المذهب الذي اعتنت مدارسها كلها بهذا العلم، ولكن كان لبعض هذه المدارس السبق، مثل المدرسة المغاربة.

يقول محقق كتاب "إيضاح المسالك": "...كما يلمس بوضوح وجلاء ما للمغاربة القدامى من تضلع وتمكن في هذا الفن بالذات وسر لأغواره عبر التاريخ مخلفين كشاهد على ذلك مجلدات كثيرة تزخر بها مكتباتنا الفقهية العامة منها والخاصة.."¹

والغرض من كتابة هذا المقال هو إبراز جهود "العلماء المغاربة" في فن قواعد الفقه، ولا يهدف هذا البحث إلى وضع معلمة لجميع تأليفهم في هذا الفن؛ وإنما يهدف إلى ضرب أمثلة من استحوذهم على التأليف فيه، وإحرازهم السبق؛ عبر القرون السالفة (من القرن الثامن الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري)

1.ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري.

جهود المغاربة بالمؤلفات النثرية:

تمهيد:

من خلال السير في أغوار المكتبة المالكية؛ خاصة في المؤلفات في فن القواعد الفقهية؛ يجد الباحث أن المدرسة المغاربة قدمته هذه المكتبة كثيرا من التراث؛ في خدمة القواعد الفقهية؛ يقول الشيخ: محمد

المامي بن البخاري: "...وأما كتب القواعد في المذاهب فلم أعثر في قطرنا على شيء مدون منها إلا قواعد المالكية، ومن أحسنها شروح المنجور على المنهج..."²

وما ذاك إلا لاستحواذها على هذه التأليف منذ القرن الثامن الهجري وحتى عصرنا الحاضر، بدءاً بإمام هذا الفن؛ أبي عبد الله المقرئ (ت: 759 هـ - وقيل 758 - وقيل 758 بفاس)، ومروراً بأبي الحسن علي الزقاق (ت: 912)، وأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (914 هـ)، وأبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور (ت 995 بفاس). وليس انتهاء بالشيخ: محمد الأمين ولد أحمد زيدان (لمرابط). المتوفى: (1325 هـ).

المبحث الأول: جهود المغاربة بالمؤلفات الثرية:

المطلب الأول: الجهود المستقلة

المثال الأول: أبو عبد الله المقرئ وجهوده

الفرع الأول: ترجمة المقرئ³

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقرئ، التلمساني؛ قال الونشريسي بحقه ما نصه: "القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ، التلمساني⁴ المولد والمنشأ، الفاسي المسكن، كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً ظريفاً نبهاً ذكياً نبيلاً متيقظاً جزلاً محصلاً⁵؛ ولقد بلغ الإمام المقرئ درجة الاجتهاد في المذهب المالكي؛ ودرجة التخيير والتزييف بين الأقوال، كما قال ابن مرزوق في كتابه المسمى: "النور البدر في التعريف بالفقيه المقرئ"⁶.

من مؤلفاته:

"عمل من لمن حب"⁷ و"الحقائق والرفائق"⁸، و"حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقيهي" و"القواعد"، وهذا الكتاب الذي يعيننا في هذا المقال.

وفي القرن الثامن الهجري بدأ إمام هذا الفن - وعمدة من جاء بعده من المالكية - أبو عبد الله المقرئ تأليف كتاب رائع رائق، وقد احتوى على 1200 قاعدة⁹.

وهو في الحقيقة قد ضمنه خلاصة تأليف من سبقه، ككتاب الإمام القرافي "الفروق"؛ حيث يقول البدر القرافي: ابن الإمام شهاب الدين القرافي: "إن المقرئ لخص قواعده من قواعد الشهاب القرافي وطرزها بذكر الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، وراعى فيها مشهور المذهب

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

ولقد امتازت قواعد المقرري بذكر المذاهب الأخرى؛ كالشافعية والحنفية¹⁰..

واختلف في وفاته فقيل: (ت: 759هـ وقيل 758- وقيل 758 بفاس)،

الفرع الثاني: نماذج من كتابه القواعد:

يقول في مقدمته: "قصدت إلى تمهيد ألف ومائتي قاعدة هي درر الأصول القرينة لأمّهات مسائل الخلاف المبتذلة والغريبة، رجوت أن يقتصر عليها من سمت به الهمة إلى طلب المباني، وقصرت به أسباب الأصول عن الوصول إلى مكامن الفصوص من النصوص والمعاني، فلذلك شفعت كل قاعدة منها بما يشاكلها من المسائل، وصفححت في جمهورها عما يحصلها من الدلائل، ونعني بالقاعدة كل كلي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة¹¹.

أول قاعدة ذكرها الإمام المقرري هي:

1- القاعدة الأولى: تبدل محل النجاسة إلى الطهارة باستعمال الماء شرعي عند مالك ومحمد¹²،

حسي عن النعمان، وبعض المالكية؛ لكون الماء مزيلا للعين والأثر، فقالا: لا يجرى في إزالة النجاسة إلا الماء المطلق، وقال: يجرى كل مائع طاهر قانع، فإن قلت تلزمهما النية، قلت: لا؛ لأن التعبد في المزيل لا الإزالة؛ لأن الإزالة بالماء القليل خارج عن القياس؛ إذ قياس التنجيس الحكم بنجاسة الماء إذا لاقى النجاسة، ثم الماء النجس لا يرفع النجاسة.

ويتضح الكلام إذا استعمل الماء وعصر، فغن مذهب الخصر نجاسة المعتصر، وطهارة المبلل، ولا شك أن ذلك على خلاف القياس؛ إذ لا فصل بين ما انفصل، وما اتصل¹³.

القاعدة الثانية: قاعدة: طهورية الماء عندهما بالشرع فتفتقر إلى نية؛ إلا بدليل كالخبث، وعنده، وروي عن مالك بالطبع فلا تفتقر؛ هذا أصل الشاشي، والتحقيق ما مروياتي.

القاعدة الثالثة: انتقال الماء عندهما بزوال سمة إطلاقه فينتقل بالتغير، ولو قل على الأصح؛ إلا بدليل كالقرار والتولد والجوار، وعنده بزوال سمة رفته ولطافته الموجب لتجديد اسم اخرله إلا بدليل، كنبذ التمر في السفر، والعدم.

القاعدة الرابعة: قاعد: التغير ينافي الإطلاق مطلقا عند مالك، ونص الغزالي في الوجيز: أن التغير اليسير بالطاهر لا ينافي، بعد أن حد المطلق قبله بالباقي على أوصاف خلقته فتناقض،

وزاد ابن شاش من غير مخالط له؛ لأنه فسر الأوصاف باللون، والطعم والريح، وقد تبقى مع المخالطة، وينتفي الإطلاق.

وأسقط ابن الحاجب الأوصاف؛ فلم يحتج إلى زيادة، ولبعض المالكية خلاف فيه، وفي تغير الريح.

المثال الثاني: الإمام أبو العباس الونشريسي.

الفرع الأول: الإمام الونشريسي وقواعده.

الفرع الأول: ترجمة الونشريسي¹⁴.

هو أحمد بن يحيى بن عبد الواحد بن علي الونشريسي أبو العباس (914)، وهو من علماء القرن العاشر، بل قد يحسب على القرن التاسع الهجري؛ حيث لم يدرك من القرن العاشر إلا أربع عشرة سنة. كان قاضيا فقيها، مؤلفا، وكففيه أن من مؤلفاته: "المعيار المعرب"، وقد قرأ على كثير من الشيوخ منهم:

1. أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت: 854)

2. أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم المشهور بالمري (864)

وغير هؤلاء كثير.

أما تلامذته فلا يحصون لكثرتهم، وقد كان يدرس "المدونة" ومختصر ابن الحجب الفرعي، وكان ذا طريقة مغربية في التدريس والإفادة؛ كما يقول أحمد بوطاهر في "تحقيقه إيضاح المسالك"¹⁵، ومن تلامذته:

1. ولده عبد الواحد الونشريسي (ت 955)، وهو الذي نظم كتاب والده، وسعى نظمه: "النور المقتبس في نظم قواعد مالك بن أنس"¹⁶

2. أبو الحسن علي بن هارون المظفري، عالم فاس (951).

من مؤلفاته:

"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل إفريقية والأندلس والمغرب"¹⁷

"إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك"¹⁸.

الفرع الثاني: كتاب "إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك"

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري يأتي تأليف الونشريسي لكتابه هذا بعد أن سبقه إمام الفن أبو عبد المقري إلى التأليف في هذا الفن، بل سبقهما الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي. (ت:684هـ) في كتابه: "الفروق"؛ الذي ضمنه ثمانية وأربعين وخمسائة قاعدة.

بينما احتوى كتاب أبي عبد الله المقري (758هـ) على ألف ومائتي قاعدة. (1200).

فجاء أبو العباس الونشريسي وانتقى منها أهم القواعد، وضمنها كتابه هذا. وقد بيّن غرضه وموضوعه في المقدمة بقوله: "...فإنك سألت أيها الفاضل الشريف، الرفيع القدر المنيف، وصل الله سعدك، ويمن قصدك، وحرس كنفك .. أن أجمع لك تلخيصا، مهذب الفصول، محكم المباني والأصول، يسهل عليك أمره، ويخف على الأسماع والقلوب ذكره، فكلفتني من ذلك عقبة لا يقطعها بازل..¹⁹

ولا تخفى على المتأمل علاقة الونشريسي بأبي عبد الله المقري، وتظهر تلك العلاقة في عدة مستويات؛ لعل من أهمها:

- 1- أن شيخه الذي تعلق به كثيرا، وهو أبو عبد الله القوري (...). كان من تلامذة أبي عبد الله المقري.
- 2- ان الونشريسي ألف مؤلفا في ترجمة أبي عبد الله المقري، كما ذكره صاحب كتاب "نفح الطيب"²⁰.
- 3- سيره على نهجه في كتابه: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، بل أطلق بعض المترجمين له اسم "القواعد" على هذا الكتاب، ولا يخفى التشابه بين "القواعد" للمقري، وكتاب الونشريسي هذا.

- 4- تأليفه لكتاب "الدرر القلائد وغرر الدرر والفوائد" وقد جمع فيه ما قيده أبو عبد الله المقري على "المختصر الفقهي لابن الحاجب"، وزاد عليه ما يناسبه.

- 5- لكن يمتاز كتاب "إيضاح المسالك" عن كتاب المقري "القواعد في أصول مسائل الخلاف" بوضوح العبارة، بل بكثرة الأمثلة؛ حيث أنه كما يقول محقق كتاب إيضاح المسالك: " فجاء أبو العباس فانتقى أهم القواعد، وضمنها هذا المختصر....وجمع تحت كل قاعدة . غالبا . مجموعة من المسائل والأحكام؛ بحيث لو تتبعها الباحث لاستخرج منها . وحدها. مجلدا ضخما من المسائل الفقهية، وربما حاول أن يضفي عليها شيئا من الوضوح؛ إلا أن طبيعة القواعد والمسائل المدرجة تحت كل قاعدة، ومحاولة استيعابها؛ لم تسمح له بذلك لهذا كله كان الكتاب فريد نوعه في مادته، ومنهجه..²¹

الفرع الثالث: نماذج من قواعد الونشريسي

القاعدة الأولى:

الغالب هل هو كالمحقق أم لا

وعليه سؤر ما عاداته استعمال النجاسة، ولباس الكافر وغير المصلي، وإرسال الجراح وليس في يده، ومن أدرك الصيد منفوذ المقاتل، وظن أنه المقصود، أو اشترك مع معلم، وظن أن المعلم القاتل، ومن علق الطلاق بالحيز أو الحمل في التنجيز والتأخير.

القاعدة الثانية: هل المعدوم شرعا كالمعدوم حسا أم لا؟

وعليه إذا تجاوز الرعاف الأنامل العليا هل يعتبر في الزائد قدر الدرهم أو أكثر أم لا وإذا فقد الحاضر الماء، وقلنا ليس من أهل التيمم؛ قال التونسي: يجري على حكم من لم يجد ماء ولا ترابا، وإذا قتل محرم صيدا فهو ميتة؛ خلافا للشافعي، وإذا حلف ليطأها فوطئها حائضا، أو ليتزوج فتزوج تزويجا فاسدا، أو ليبيع العبد أو الأمة فباعهما بيعا فاسدا، أو ألفت حاملا، أو حلف ليأكلن هذا الطعام ففسد ثم أكله، أو حلف على فعل معصية من قتل أو شرب ثم تجرأ وفعله، وإذا جار في القسم فلا يحاسب، ويتدئ، واستقرى اللخي خلافا،

ولا يحلل وطء الحائض، ولا يحصن، ولا يوجب رجعة، ولا يكون فيئة خلافا لعبد الملك²²،

وعليه عدم انتقال ضمان المشتري فاسدا إلى المشتري، ولو فات المبيع بيده: كوديعة عنده²³.

من خلال هذين النموذجين من كتاب الونشريسي يمكن أن تتضح بعض سمات إيضاح المسالك؛ ومنها:

1. كثرة الأمثلة على القاعدة الواحدة.

2. تنوع الأمثلة: حيث يذكر عدة أمثلة من عدة أبواب.

3. وضوح الأمثلة: فأغلبها لا يحتاج إلى شرح.

قبل أن أنتقل إلى الكلام على النموذج الثاني من هذا القرن يستحسن التذكير بكتاب "النور المقتبس في نظم قواعد مالك بن أنس"؛ وهو نظم لعبد الواحد بن أحمد الونشريسي؛ ابن المؤلف؛ حيث أنه قام بنظم قواعد والده، وهو نظم يمتاز بسهولة العبارة، وعمق اللفظ، يربو على ألف بيت، وفي هذا دليل على شدة اهتمام "المغاربة" بهذا الفن؛ فلم يكل الابن على والده أمر القواعد؛ بل كان له هو الآخر نصيب كبير؛ لا يخفى على أحد.

المبحث الثاني: الجهود المنثورة المكملة:

وأقصد "بالمنثورة المكملة" أنها تأليف غير مستقلة؛ بل هي تابعة وشارحة لما سبقها

المطلب الأول: شرح المنجور على نظم الزقاق "المنهج المنتخب"

الفرع الأول: الشيخ المنجور

والمأمل في هذا النوع يجد أن الشيخ المنجور كانت له اليد الطولى فيه؛ من خلال شرحه على "المنهج المنتخب للزقاق"

ولقد أصبح هذا الشرح مرجع كل الشارحين لهذه المنظومة المباركة؛ حتى أمكن إطلاق عليه "الشرح"؛ كما أطلقت على العلامة بهرام؛ من خلال شروحه لمختصر شيخه العلامة خليل بن إسحاق عليه رحمة الله.

أولاً: . ترجمته²⁴: هو أحمد بن علي بن عبد الله المنجور؛ عرف بالمنجور الفاسي آخر فقهاء المغرب ومشاركهم في الفنون فقهاً وأصولاً وبياناً وقراءة²⁵ كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ والبيان والمنطق وغير ذلك وكانت له معرفة برجال الحديث شديد العناية بالتحصيل قوي التحقيق حسن الإلقاء والتقرير، معتنياً بالمطالعة والتقبيد والإقراء، لا يكل ولا يمل، شعاره الإنصاف في البحث والمذاكرة.

الفرع الثاني: شرح المنجور على المنهج المنتخب

يقول المنجور في مقدمة شرحه على المنهج: "الحمد لله علي كل حال والشكر له سبحانه علي ما أولانا من الأفضال، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد، وعلي آله خير صحب وآل... وبعد فالغرض أن أضع علي المنهج المنتخب إلي قواعد المذهب شرحاً يبين العسير، ويكمل به إن شاء الله القدير، وقد احتوي هذا النظم من الفقه علي الغزير، وهو لصغر حجمه وكثرة علمه، وسهولة حفظه، وفهمه لا يوجد له في بابيه - فيما علمت - نظير؛ فعلي اللبيب أن يأخذ في تحصيله بالجد والتشمير، ولا يلتفت لغض مقصر من قدره، واحتقار حقير، والله سبحانه ولي التوفيق، والتسديد والتيسير، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولي ونعم النصير.

ثانياً: أمثلة من الشرح

قال علي الزقاق: فصل في الصوم

هل رمضان بعبادة عرف ... واحدة أو بعبادات ألف

هل الاكتفاء والتجديد ... بنية وهل (كذا) المسرود

واليوم إن عين أو تجدد ... كمتتابع بعذر يفقد

وقال المنجور في شرحه: "أي: رمضان هل هو عبادة واحدة أو عبادات؟ اختلفوا فيه، وعليه تجديد النية أو الاكتفاء بها في أول ليلة

قال في إيضاح المسالك: ولا منافاة بين الاتحاد، والتكرير عند بعض كبراء الشيوخ، انتهى ويعنى بهذا البعض الإمام المقرئ، ونصه: قاعدة: اختلف المالكية في كون رمضان عبادة واحدة أو عبادات كثيرة، وينبنى عليه تكرير النية، ولا منافاة بين الاتحاد والتكرير عندى وهما المختار انتهى. وكذا مال خليل إلى التكرار فقال: والشاذ إن ثبت ظاهر في النظر، لأن أيام الشهر عبادات متعددة، بدليل أن فساد يوم لا يوجب إفساد ما مضى، وبه قال أبو حنيفة والشافعية قال الإمام المقرئ: قاعدة: المشهور من مذهب مالك أن الليل مستثنى من صوم الشهر تيسيراً على الخلق وأن أصله الصوم فتجزئ نية واحدة لجميع الشهر ويجب الإمساك بالشك في الفجر، لأنه الأصل بخلاف صوم يوم الشك، والشاذ أن أصله الفطر وأنه غير مستثنى، فيجب تكرير النية لكل يوم ولا يجب الإمساك إلا بطول الفجر للآية والحديث، والاعتبار بيوم الشك

قوله: "وهل كذا المسرود واليوم إن عين أو تجدد" أي: هل الصوم المسرود ونذر يوم معين أبداً، كرمضان في الاكتفاء بالنية في أول ليلة أم لابد من تجديد النية؟ ثالثاً يلحق المسرود والحاصل أنه يتفق على تجديد النية فيهما على القول بالتجديد في رمضان ويختلف في وجوب التجديد فيهما على القول بالاكتفاء بالنية في أول ليلة كمتتابع بعذر يفقد، أي: كما اختلف في وجوب التجديد إذا انقطع التتابع [بعذر كمرض أو حيض، أو سفر أو نسيان

قال ابن الحاجب: فإن انقطع التتابع بأمر المشهور تجديدها

وثالثها يجدد غير الحائض، لقوله في الشاكة تقضي، لأنها لا تدرى أظهرت قبل الفجر أم لا؟ فلم يذكر النية قال صاحب التوضيح: وانظر إذا أفطر متعمداً لغير عذر هل يلزم التجديد اتفاقاً أو يجرى فيه الخلاف، وعبارة ابن بشير: ولو طراً في رمضان ما أباح الفطر فهل يفتقر إلى إعادة التبييت قولان انتهى قلت: وعبارة المؤلف كعبارة ابن بشير، وهذا كله إن طراً الحيض مثلاً بعد أن بيت أول الشهر، وأما إن دخل عليها رمضان وهى حائض فلا يجزئها الصوم في أول طهرها دون تبييت إلا على رأى عبد الملك أن

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

المتعين لا يفتقر إلى نية وقول المؤلف: "أم تجدد كمتتابع" يؤخذ منه ذلك إذ لا يقال التجديد إلا بعد تقديمها وهذه القاعدة لها شبه ما بقاعدة هل تعتبر نية عدد الركعات أم لا، فتأمله.

وتقرير كلام المؤلف هل رمضان عرف بعبادة واحدة، أو ألف، أي: عهد وعرف في الشرع بعبادات متعددة، عليه أي: على هذا الأصل الاكتفاء بنية واحدة عند أوله لجميعه والتجديد لها كل ليلة، وهو الصوم المسرود واليوم المعين المنذور أبداً كصوم يوم كل خميس كذا أن يكتفى بنية واحدة أم تجدد النية "وبعدر" من كلام المؤلف يتعلق بفقد أي يفقد تتابعه بسبب عذر، ويفقد العذر بعد كونه²⁶.

وإذا اكتفينا بهذا المثال: مخافة التطويل؛ فإننا نلاحظ موسوعية المنجور؛ وكذا تعدد مصادره.

فهو من ناحية ينقل عن المصادر التي سبقتها، ولكنه لا يقتصر على مجرد النقل؛ بل نراه يشرح، ويعلق . الشرح يظهر عند بيانه لقول الونشريسي: "...عند بعض كهراء الشيوخ؛" فيعلق صاحبنا؛ مبينا أن المقصود المقري، عيه رحمة الله.

. لكنه من ناحية أخرى يسوق كلام المقري كاملاً: مخافة أن يكون وقع فيه لبس.

. ثم ينتقل إلى النقل عن بعض المصادر الأخرى؛ كابن الحاجب في "جامع الأمهات" وشرحه للتوضيح لخليل بن إسحاق؛ صاحب "المختصر".

ومن خلال جهده العظيم أصبح "شرح المنجور" المرجع الأول لشرح "المنهج المنتخب".

المثال الثاني: عبد القادر السجلماسي.

اما القرن الثاني عشر الهجري فلم يكن هو الآخر بعيداً من هذا؛ فقد برز فيه جهابذة من المؤلفين؛ لعل من أبرزهم:

عبد القادر بن محمد السجلماسي (ت1187هـ)؛ الذي كان يتولى القضاء في مدينة مكناسة؛ إلى أن توفي بها عليه رحمة الله تعالى.

ومن تأليفه . في هذا المجال .

. شرح على المنهج المنتخب²⁷

. شرح على بستان فكر المهج (التكميل)

والمطالع للشرحين يجد أن السجلماسي عليه رحمة الله كان مهتماً . أيما اهتمام . بهذا الفن؛ مع ما كان عليه من التعمق في معرفة الفروع؛ فكان يذكر الفروع في القاعدة؛ مع الاستدلال بمختصر خليل؛

للشيخ أبي الضياء خليل بن إسحاق²⁸

بالنسبة لشرحه على المنهج؛ لا يزال مخطوطا في المكتبات المورتانية، أما شرحه على "التكميل" فهو موضوع أطروحتي للدكتورا، وهو والله الحمد قيد الطبع.
أولا: ترجمة السجلماسي²⁹:

هو القاضي العلامة أبو محمد عبد القادر بن محمد بن عبد المالك بن العربي بن علي، ابن مولانا محمد ابن مولانا علي الشريف الحسني، السجلماسي، يصل نسبه إلى أعلى الأنساب درجة، وأكرمهم أرومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ عن طريق ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ثانيا: نماذج من شرحه على التكميل:

يقول السجلماسي في مقدمة شرحه على "شرح التكميل": "...أما بعد فيقول أحوج العبيد إلى فضل مولاه الغني، عبد القادر بن محمد السجلماسي الحسني سلك الله به المنهج السني: إني لما رأيت شرح الشيخ العالم الهمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة لنظمه "تكميل المنهج المنتخب" قد اشتمل على فروع حسان سهلة المأخذ أتممت ذلك بذكر نصوص المختصر للشيخ خليل، وبأبحاث ظهرت لي في محال، وأضفت إلى ذلك شرح أبيات لم يكن مؤلفها شرحها، وبعضها قد كتب عليها في ورقة لم تكن بالأصل، وقد التزمت في الغالب الإتيان بنص كلامه، ثم أتبعه بما زدت عليه، وفي غير الغالب آتي بمحصلته؛ وأفرد الإعراب على حدة من بعد الفراغ من المعنى؛ خلافا ما كان يفعله من الاختلاط والتقديم والتأخير، وأنبه على ما لم يعرب فيه؛ فجاء إن شاء الله مهذبا جامعاً لشرح المؤلف وزيادة نسأل الله به الحسنى وزيادة فهو حسبنا ونعم الوكيل"³⁰.

في الحقيقة يعتبر شرح السجلماسي مدونة قواعدية، وفقهية، ومن المسائل المذكورة في الشرح، وفي النظم:

1. بيع الدين بالدين: وفي التعليق عليها يقول السجلماسي رحمه الله تعالى:
"أقول: عندنا ثلاث حقائق كلها لا تجوز؛ فيجب معرفتها، والفرق بين بعضها من بعض؛ قال في التوضيح في قول ابن الحاجب: - في البيوع الفاسدة - "وحقيقته يعني بيع الكائي بالكائي بيع ما في الذمة بشيء مؤخر":

اعلم أنَّ هناك ثلاث حقائق:

الأولى: فسح الدين في الدين، وهو أن يبيع الدين ممن هو عليه بشيء مؤخر من غير جنسه أو من جنسه وهو أكثر؛ والمنع في هذه أشد من الأخيرتين؛ لأنها ربا الجاهلية، أو من ربائها فهي محرمة بالقرآن؛ بخلاف الأخيرتين فإنَّ الآية لا تقتضيهما، وإنما المنع فيهما للحديث.

الحقيقة الثانية: ابتداء الدين بالدين وهو تأخير رأس مال السَّلَم، وهذه المرتبة أخف المراتب؛ لأنهم أجازوا التأخير فيه بشرط ثلاثة أيام على المشهور.

الحقيقة الثالثة: بيع الدين بالدين وهي كالواسطة بينهما؛ فحكى الخلاف في التأخير فيها وعزا المنع؛ تبعاً للخي عن المدونة.

وإلى هذه الثلاث يشير في المختصر في البيوع المنبي عنها بقوله: "وككالي بمثله فسح ما في الذمة في مؤخر ولو معيناً يتأخر قبضه؛ كغائب أو مواضعة أو منافع عين، وبيعه بدين، وتأخير رأس مال السلم"³¹

فقد أتى رحمه الله تعالى بالتفصيل الضروري للمسألة، ثم بعد ذلك استدلل بمتن "مختصر خليل".
ولعلي اكتفي بهذا المثال، وما علم يدل على ما لم يعلم؛ وكما قال ابن مالك:
"وليُقَسَّ ما لم يقل"³².

المثال الثالث: محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني. (1229 . 1325هـ)

وقد قام الشيخ محمد الأمين بشرح "المنهج"، وسما شرحه "المنهج إلى المنهج"، و"التكميل"، والكتابان مطبوعان في مجلد واحد³³.

أولاً: ترجمته: هو محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بن المختار بن السيد الأمين بن المختار بن أحمد جار الله، ينتهي نسبه إلى "جاكين"؛ الجد الجامع لقبيلة "الجكنيين".

وقد كان رحمه الله تعالى كثير العلم، ذائع الصيت، عرف بالذكاء، وجودة الفهم.

من شيوخه: محمد بن علي العلوشي؛ وكان الشيخ معجباً به أيما إعجاب³⁴

أما طلابه فكانوا لا يحصون كثرة، ومنهم: ابنه علي ومحمد، ومن أشهر طلابه: الشريف محمد المصطفى بن علي الطالب، ومحمد النعمة بن زيدان العيقوبي ولرباط أحمد بن مود، وغيرهم.

ومن مؤلفاته: شرح على مختصر خليل؛ سماه نصيحة الضعفاء؛ واشتهر بالنصيحة. وشرح على "مراقي السعود" في أصول الفقه؛ سماه نشر البنود على مراقي السعود.

هذا بالإضافة إلى الشرحين المذكورين سابقا على المنهج والتكميل، وغيرهم³⁵

ثانيا: نماذج من إسهامات محمد الأمين في القواعد

أ. المنهج إلى المنهج إلى أصول المنهج المبرج

يعتبر شرح المنهج هذا من الشروح المختصرة؛ حيث يقتصر المؤلف على حل ألفاظ النظم؛ مع الاختصار على الأمثلة الواردة فيه؛ وقد أشار في مقدمته إلى هذه المنهجية فقال: "...قصدي فيه أن أحل ما أمكنني من ألفاظه على حالة تسهل بها معرفته على حفاظه..."³⁶

وقد اعتمد في شرحه هذا على شرح "المنجور"³⁷، كما بين في مقدمته حيث يقول: "...وجل اعتمادي فيه على المنجور..."³⁸

والمنهجية المتبعة عنده هي دمج النظم مع الشرح، ومن الأمثلة:

1. في الصلاة

قال الناظم: هل يخرج السلام عنها سهوا .. نعم ولا لكن ذاك أقوى

عليه هل يرجع بالإحرام ... ثلاثة كالشرب والطعام.

وقال في الشرح: "...قال في التوضيح: اختلف فيمن سلم قاصدا التحليل؛ يرى إتمامه، ثم شك هل يخرج ذلك السلام عن حكمها؛ إذا كان سهوا أم لا يخرج عنها؛ قيل نعم؛ يخرج عنها، وقيل لا يخرج عنها، لكن ذاك القول بالإخراج أقوى من القول بعدمه، وهذا الخلاف ينبني عليه إذا سلم، ولم يبطل جدا، هل يرجع إلى الصلاة بالإحرام، أو يرجع بلاه، وقيل: إن قرب جدا لم يحرم، وإن بعد جدا أحرم، وهذا الثالث على "أن ما قارب الشيء يعطى له حكمه، فقلوه: في ذلك ثلاثة؛ أي: من الأقوال المتقدمة قريبا، واحترزنا بقولنا: قاصد التحليل؛ مما لو سلم ساهيا؛ فلم يخرج بإجماع، وبقولنا: ولم يطل جدا من الطول جدا؛ فلا يبني على المشهور خلافا لما في المبسوطه..."³⁹

المبحث الثاني: الجهود العلمية بالمنظومات

المطلب الأول: الجهود المستقلة

أولا: الجهود المستقلة

المثال الأول: نظم "المنهج المنتخب" لعي بن قاسم الزقاق.

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

الفرع الأول: التعريف بالزقاق⁴⁰: هو أبو الحسن علي بن قاسم التجيبي، المعروف بالزقاق، من كبار فقهاء عصره بالمغرب، تتلمذ على يد أشهر علماء المغرب والأندلس، واستقرَّ به المقام بفاس، فصار فقيه فاس وخطيبها وقاضيا ومدرسها، وصاحب المنظومة اللامية في علم القضاء، المعروفة "بلامية الزقاق".

الفرع الثاني: نماذج من نظمه المنهج المنتخب في قواعد المذهب

وقفة مع نظم المنهج المنتخب:

يعتبر كتاب "المنهج المنتخب إلى أصول وقواعد المذهب" من أشهر المؤلفات المنظومة في علم القواعد عند المالكية، بل لعله أول نظم في هذا المجال، حيث لم أطلع- وليس عدم اطلاعي دليلا- على أي نظم في القواعد الفقهية المالكية قبل نظم الزقاق هذا، وبما أن نظم عبد الواحد الونشريسي (955هـ) لقواعد والده -وهذا النظم الذي يسمى "النور المقتبس في قواعد مالك بن أنس"- كان قريبا من التاريخ الذي ألف فيه الزقاق نظمه هذا؛ فقد يتوهم بعض الباحثين أنه سبقه، ولكن الناظر في تاريخ وفاة كل منهما يتبين له أن نظم الزقاق أقدم؛ ضف إلى ذلك أن "الزقاق" من شيوخ عبد الواحد الونشريسي⁴¹ حيث أنه كان معاصرا للونشريسي الوالد؛ صاحب المعيار (ت914هـ).

وقد كان نظم الزقاق هذا خلاصة للكتب التي سبقتها؛ مثل قواعد المقرئ، وفروق القرافي، وغيرهما، فهو في الحقيقة صفوة الصفوة؛ ضف إلى ذلك أنه نظم، والنظم أسهل للحفظ.

لمن أراد حفظه وعسرا عليه أن يحفظ ما قد نثرا.

وقد خصص الزقاق القسم الأول من نظمه للقواعد الخلافية وتسمى "الهلديات": أي: التي تبدأ بأداة الاستفهام. "هل"

والقسم الثاني للقواعد الأخرى والضوابط والنظائر ونحوها، وإلى هذا التقسيم يشير عبد القادر السجلماسي رحمه الله تعالى⁴² - مبينا بداية كل قسم من النظم -

"..أقول: ذكر صاحب الأصل القسم الأول من قوله:

"فصل هل غالب أو ما بشرع قد عدم"⁴³؛ إلى الفصل الذي صدره:

إعطاء ما وجد حكم ما عدم"⁴⁴.. البيت؛

وثنى بالقسم الثاني الذي هو القواعد التي تذكر لجمع النظائر⁴⁵.

وقد اعتنى كثيرٌ من العلماء الأجلاء بهذا النظم والتعليق عليه.

والنظم يقع في (444) بيتا من الرجز، وقد سلك فيه صاحبه منهجا خاصا، وإلى الغرض من تأليفه وموضوعه يشير في المقدمة فيقول:

وبعد فالقصد بهذا الرجز ... نظم قواعد بلفظ موجز
مما انتهى إلى الإمام ابن أنس ... وصحبه وما لديهم من أسس
مع نبذ مما عليها قررا ... أومي لها فقط لكي أختصرا
أفصله كما يليق بالفصول ... إذ هو أقرب لطالب الوصول⁴⁶

الفرع الثاني: نماذج من القواعد في النظم
الناظم يجمع بين عدة قواعد في بيت واحد، وقصده من ذلك الاختصار، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك:

. القواعد الثلاث التي ذكرها في مستهل كتابه، وهذه القواعد هي:

- 1 . القاعدة الأولى: هل الغلب كالمحقق أم لا
 - 2 . القاعدة الثانية: هل المعدوم شرعا كالمعدوم تحقيقا وحسا أم لا؟
 - 3 . هل الموجود شرعا كالموجود تحقيقا وحسا أم لا؟
- وقد أدمج هذه القواعد الثلاث في بيت واحد فقال:

هل غالب أو ما بشرع قد عدم ... أو ضده كما بتحقيق علم
ثم بدأ بضرب الأمثلة فقال:

كالسؤر والحيز وكالوطء رعاف ... تيمم وكإمام واصطراف

ونلاحظ أنه رتب الأمثلة على " اللف والنشر المرتب" فذكر للأولى مثالين هما:

- 1 . "كالسؤر"، أي: سؤر ما عاداته استعمال النجاسة؛ إذا لم تر النجاسة في فيه وقت شربه، ولا عسر الاحتراز منه؛ كالطير والسبع والدجاج، هل ينجس . ماء كان أو طعاما فيراقان: . بناء على أن الغالب كالمحقق أو لا؛ تغليباً للأصل، ثالثاً؛ وهو المشهور يراق الماد دون الطعام؛ لاستجازه طرح الماء؛ لأنه ليس له حرمة كحرمة الطعام؛ فيجوز طرحه على الأرض، وكذا سؤر الكافر وشارب الخمر، وما أدخل يده فيه.⁴⁷

- 2 . الصيد. أي: من أدرك الصيد منفوذ المقاتل، وظن أنه المقصود

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري
وقد ذكر الناظم ثلاثة أمثلة للقاعدة الثانية (الوطء . الرعاف . التيمم)؛ بينما ذكر مثالين للقاعدة الثالثة (الإمام . الاضطراب).
قيمة المنهج العلمية: لقد اهتم العلماء بالمنهج اهتماما عظيما، ومن خلال هذه النماذج التي سأذكرها يمكن أن يتضح جليا ما نحن بصده من ضرب الأمثلة على عناية وريادة المدرسة المغاربة بفن قواعد الفقه.

1 شرح الناظم نفسه

2. شرح ابن الناظم أبي العباس أحمد بن علي الزقاق (ت: 931)، ولكن لما وصل إلى النصف جاءه الداعي الذي لا ينجو منه ناج، فتوفي قبل إكماله؛ نسأل الله أن يرحم الناظم وابنه، وجميع موتى المسلمين⁽⁴⁸⁾.

3. شرح حفيد الناظم؛ عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق (ت: 961)

4. شرح المنجور أبي العباس، أحمد بن علي المنجور (ت: 995) وهو من أشهر شروح المنهج⁽⁴⁹⁾، واختصر المنجور شرحه هذا باختصار سماه "المختصر المذهب من شرح المنهج المنتخب". وللمنجور أيضا شرح على اختصار الزقاق لنظمه المنهج المنتخب، المسمى "المختصر من ملقط الدرر"، وقد سعى المنجور شرحه "شرح المختصر من ملقط الدرر".
وفي الحقيقة رزق الله شرح المنجور القبول؛ حتى أصبح معتمد أصحاب هذا الفن⁵⁰.

5. شرح المنهج المنتخب لأبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الجزائري، (ت: 1057)⁽⁵¹⁾.

6. شفاء الغليل من ظمأ العليل على المنهج المنتخب للعلامة السيد محمد بن علي الإيلاني اليعقوبي السوسي (1296)⁽⁵²⁾.

7. مفتاح المرتج من ألفاظ المنهج للعلامة عبد القادر السجلماسي (ت: 1187هـ)⁽⁵³⁾

8. خواتم الذهب على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لعبد الواحد بن محمد الأمزواي السوسي (كان حيا سنة: 1250)⁽⁵⁴⁾.

9. حاشية المنهج إلى المنهج تأليف الأمير عبد الحفيظ العلوي (1937م)⁽⁵⁵⁾.

10. اختصار شرح المنجور لأبي عبد الله محمد بن أحمد الصباغ العقيلي المكناسي ثم الفاسي (1076 هـ).

11. إعداد المهج للاستفادة من المنهج لأحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي⁽⁵⁶⁾.

12. الإسعاف بالطلب مختصر شرح المنهج المنتخب؛ جمع واختصار وترتيب أبي القاسم بن

محمد بن أحمد التواتي الليبي⁽⁵⁷⁾

المثال الثاني: الشيخ محمد المامي بن البخاري المتوفى (1282)

الفرع الأول: ترجمة الشيخ محمد المامي

هو محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله بن باريك الله بن أحمد بزيد، ذو النسب المتصل بجعفر الطيار؛ رضي الله عنه. ولد سنة (1206) بمدينة تيرس؛ شمالي موريتانيا، وكانت وفاته سنة (1282).

الفرع الثاني: نظم صداق القواعد:

كان للشيخ محمد المامي اهتمام كبير بالقواعد الفقهية؛ بل كان يعيب على الفقهاء عدم اهتمامهم بها، ولكنه بين في أنظامه أن سبب عزوف الناس عن هذا الفن هو عز هذه القواعد وحسنها، وعجز الفقهاء عن الوصول إلى مستواها؛ كما قال في نظمه
"صداق القواعد":

وبعد فاعلم أنها القواعد ... لعزها وحسنها قواعد

وقل مشغوف بها لأنما ... غير الحرير كان يسبي الخدما

وغير واحد لها قد نظما ... درا ولكن ليس يبدي الحرما

فرامها من لم يكن من أهلها ... لما رأى تبريحها بالفقها

في نيلها بمائة قد رغبا أو مائتين فأبت كل الإبا

فيسر الله عليه إلفها من بعدما أدى إليها ألفها

وأربع من المئات خلفها ... تساق كالهدي فراقت طرفها

بعون رب مالك للأمر ... ليس عليه للورى من حجر⁵⁸

يعتبر هذا النظم من أحسن الأنظام في هذا المجال سبكا، وحسن تنظيم.

وقد مر تأليف هذا النظم بعدة مراحل؛ انعكست تلك المراحل على الاختلاف في تسميته، وعدد أبياته.

أما التسمية فإننا نجد الشيخ: محمد المامي يسميه:

. نظم القواعد الجامعة للونشريسي و"المنهج" في نحو ألفين⁵⁹

محمد عبد الله الشواف-ريادة المغاربة في القواعد الفقهية من القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري

- نظم إيضاح المسالك؛ كما قال في "كتابه البادية": "...وكقولي في نظم إيضاح المسالك:

والأصل والغالب في الشيء إذا ... تعارضا بأي ذاك أخذاً⁶⁰

وسبب هاتين التسميتين أن "أوضح المسالك" و"المنهج" من أهم مصادره في هذا النظم.

وأما عدد أبياته فأحياناً يصفه بأنه:

- ألفان؛ كما مرقبياً، وكقوله:

يحفها من خدم القواعد ... ألفان أو أقل أو بالزائد⁶¹

- ألف وأربعمئة؛ كما قال:

فيسر الله عليه إلفها ... من بعد ما أدى إليه ألفها

وأربع من المئات خلفها ... تساق كالهدي فراقت طرفها.

ولكن الحال قد استقر على:

- تسمية النظم ب"صدّاق القواعد"؛ كما جاء في الكتاب المطبوع.

- عدد الأبيات (1456)؛ كما في النسخة التي بين أيدينا

ولم تقتصر جهود الشيخ محمد المامي في هذا الفن على "نظم صدّاق القواعد" وشرحه؛ بل ألف:

"نظم الأبعاد المهمة والأشباه والمثل في المنهج المنتخب للزقاق"، وهو نظم يقع في (179)

بيتاً، وهو مطبوع في آخر "شرح صدّاق القواعد"

المثال الثالث: محمد يحيى الولاتي (1259 . 1330هـ) بمدينة ولاتة، الشنقيطية.

حيث ألف نظماً سماه "المجاز الواضح إلى معرفة قواعد المذهب الراجح"، ثم أتبعه بشرح سماه:

"الدليل الماهر الناصح على المجاز الواضح"⁶²

الفرع الأول: ترجمته

هو القاضي المفتي، العلامة كثير التأليف، سيوطي زمانه محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب

عبد الله النفاع، الداوودي نسباً، الولاتي وطناً.

رزقه الله قدرة فائقة على التأليف، فأصبحت المكتبة زاخرة بتأليفه؛ في شتى العلوم، ومن مؤلفاته:

"المجاز الواضح" وشرحه "الدليل الماهر الناصح.."

الفرع الثاني: نماذج من كتابه:

المقدمة: "...أما بعد فيقول أ فقر العبيد إلى مولاه، الغني به عما سواه، محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله: هذا شرح وضعته على نظمنا المسى "المجاز الواضح إلى معرفة قواعد المذهب الراجح"، وسميته "بالدليل الماهر الناصح على المجاز الواضح": فالتزمت فيه الإيضاح والتقرير لمداول القاعدة؛ لأن الحكم على الشيء فرع تصور..."⁶³

أما مقدمة النظم فيقول فيها:

يقول من محمد يحيى سماه ... محمد المختار من يدعى أباه
حمدا لمن بنى قواعد الهدى ... للدفع للضر وجلب للجدى
ونذب الورى إليه مرشدا ... على لسان من به الحق بدا
محمد ميسر العسير ... ومنقذ العاصي من السعير
صلى عليه الله ما جن الدجى ... وما إلى الله به عاص لجأ
هذ ولما أن رأيت الهمما ... تقاصرت وقل من تعلمما
أردت أن أوضح في الكتُب ما ... علمت من أصول من تقدما
فها أنا أجمع في القواعد ... نظما مفيدا للفقهاء المقتدي
سميته المجاز ذا الإيضاح ... إلى أصول المذهب الصحاح
وأسأل الله دوام النفع ... به بجاه من أتى بالشرع

فقد بين الناظم اسمه، والسبب الداعي للتأليف، وموضوع كتابه، وعنوانه...

المطلب الثاني: الجهود التابعة: والمراد بها الجهود التي تكون مكملة؛ وهي جهود كثيرة، وأولها بالذكر "بستان فكر المهج في تكميل المنهج" للعلامة: أبي عبد الله محمد بن أحمد؛ المعروف بميارة؛ (ت: 1072)، وهو الفاسي؛ نسبة إلى مدينة فاس المغربية⁶⁴

أولاً: ترجمته

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي⁶⁵، من علماء القرن الحادي عشر، وقد عاش في مدينة فاس، ودرس في جامع القرويين، ذائع الصيت، ملقى العلماء والفقهاء في القرن الحادي عشر الهجري، ومن هناك صقلت مواهبه، ونمت ملكاته الفقهية والعلمية.

كما أشار إلى اسمه ومدينته التي عاش فيها فقال: _ في نظمه بستان فكر المهج في تكميل المنهج"

قال محمد هوبن أحمددا	مِيارَة بذاك يدعى أبدا
الفاسي أصلا منشأً وسكني	ويرتجي الختم بها بالحسنى ⁽⁶⁶⁾
الحمد لله الذي أنقن ما	شرعه بضابط منه سما

إلى أن يقول:

وبعد هذا مكمل للمنهج	إلى أصول المذهب المبرج
نظم الإمام العالم الزقاق	إمام ذا الفقه بلا شقاق
ذكرت فيه بعض ما قد أغفلا	من أسس وما عليها يبتلى
وزدته من خالص الفقه جمل	كلية نافعة فلا تمل
معتمدا في الجبل توضيح خليل	وشرح منهج لعالم جليل
شيخ الشيوخ العالم المشهور	ذاك الذي يعرف بالمنجور
ءاثرت فيه الميل للبيان	ليظفر الحافظ بالمعاني
مغلبا تحسين معناه على	تحسين لفظه رجا أن يعقلا
وبعد أن يكمل إن شا ربنا	أتبعه شرحا ليكمل المني
سميته بستان فكر المنهج	ذيلا وتكميلا لذاك المنهج
والنفع دائما به أسأل من	رب كريم بالإجابة قمن

وقفة مع نظم التكميل:

وهذا النظم يقع في (806) من الرجز، وقد أبدع فيه مؤلفه؛ استكمالا لما بقي على علي بن قاسم الزقاق في نظمه المنهج.

وقد قسم الناظم هذا النظم إلى ثلاثة أقسام: كما قال هو في شرحه:

"الأول: الأمر الكلي الشامل لأصول مسائل الخلاف؛ ذلك كقولنا هل الطهارة الخ؟ وعليهما الخلاف في اعتبار مقدار التطهير لأهل الأعذار،

القسم الثاني: الضوابط الفقهية، وذلك كقولنا ويحرم الفضل والنساء فيما يتحد جنسه؛ من النقود والمطعومات الربوية.. الخ،

القسم الثالث: الفروع الغريبة النقل، أو التي فيها تفصيل وتقسيم؛ كمسألة التخصيص والتقيد بالنية، ومسألة الوصية لمن يتزايد لأولاده التي ختمت بها؛ ونحوها؛ كما أشرنا إلى ذلك في صدر النظم بقولنا: ذكرت فيه بعض ما قد أغفلا ... من أسس وما عليها يجتلى"⁶⁷

وزدته من خالص الفقه جمل ... كلية نافعة فلا تمل

وهذا التقسيم ذكره في شرحه للأبيات في خاتمة نظمه؛ حيث يقول:

وما قصدت جمعه هنا كمل ... والحمد لله على نيل الأمل
ثم الصلاة والسلام في الختام ... على النبي والآل والصحب الكرام
في عام تسع بعد خمسين انتهى ... من بعد الألف وازدلافه وهي.
وأشار في هذه الخاتمة إلى تاريخ انتهاء هذا التأليف؛ أي: (1059هـ)
ووفاء منه . رحمه الله تعالى . بوعده الذي وعدنا به في بداية هذا النظم من قيامه بشرحه فقد شرح
نظمه بشرح سماه "الروض المبهج في شرح بستان فكر المبهج"⁶⁸.

المثال الثاني: النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس⁶⁹ لعبد الواحد الونشريسي، المتوفى (955).

الفرع الأول: ترجمته⁷⁰:

هو عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي، الفاسي، ويكنى بأبي محمد، ولد بفاس (880)، وتوفي
رحمه الله قتيلا (955هـ)⁷¹.

وقفه مع نظمه: قام عبد الواحد بنظم قواعد والده، وهو نظم يمتاز بسهولة العبارة، وعمق اللفظ،
يربو على ألف بيت، وفي هذا دليل على شدة اهتمام "المغاربة" بهذا الفن؛ فلم يكل الابن على والده أمر
القواعد؛ بل كان له هو الآخر نصيب كبير؛ لا يخفى على أحد.

ثانيا: أمثلة من النظم:

يقول في مقدمته:

يقول عبد الواحد بن أحمد ... الونشريسي منتما ومحتدا
الحمد لله الذي من أكرمه ... فقهه في دينه وفهمه
وصلواته على محمد ... هادي الوري إلى الطريق الأرشد
وآله وصحبه مؤسس ... قواعد الدين لكل مؤتس
محمد وآله وصحبه ... حماته في سلمه وحربه
هذا كتاب من سناه يقتبس ... فهم قواعد الإمام ابن أنس

ويقول في قاعدة: الشيء إذا اتصل بغيره، هل يعطى له حكم مبادئه أو حكم محاذيه

وهل لما بغيره يتصل ... حكم مباد أو محاذ يجعل

عليهما الغسل لطائل اللحي ... والمسح في الرأس سبيله انتحى

كذا طهارة أعالي القرن ... وشبهه ومسح بطن الأذن

وميت ما حياته في البر ... تطول وهو ينتهي للبحري

وذوبان الملح في الماء والشجر... يصاد ما عليه بالحل استقر

والأصل في الحرام والعكس وجب ... فيه الجزا ولاتفاق انتسب⁷².

الخاتمة:

من خلال هذا البحث الذي حاولت أن أسبر فيه "المسار التاريخي" للتأليف في القواعد الفقهية؛ من

القرن الثامن الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، يمكن أن أستنتج عدة أمور، منها:

1. أن المدرسة المالكية المغربية كانت. ولا تزال تولي اهتماما خاصا لهذا الفن.

2. أن السيطرة من خلال التأليف كانت على مستويين:

المستوى الأول: السيطرة من خلال التأليف المؤسسة لهذا الفن؛

سواء كانت عبر أسلوب النثر؛ كما عند إمام هذا الفن؛ أبي عبد الله المقري.

أو عبر أسلوب النظم؛ كما رأينا عند الإمام علي بن قاسم الزقاق.

فإذا كان المقري المؤسس للقواعد من خلال النثر؛ فإن الزقاق هو المؤسس من خلال النظم.

المستوى الثاني: السيطرة من خلال التأليف التابعة، ومن الأمثلة على ذلك:

شرح المنجور على المنهج وكتاب نظم بستان فكر المهج للشيخ ميارة.

ومن خلال هذه الكتب يتضح أن القرن الثامن الهجري كان انطلاقة قوية لهذه المدرسة، ولا زالت

التأليف مستمرة عن طريق الباحثين المعاصرين؛ مما يعكس تجذر هذا الاهتمام.

وأقرب مثال على ذلك: الشيخ: صادق الغرياني حفظه الله تعالى. من خلال كتبه:

. تحقيق "إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك.

. تطبيقات القواعد الفقهية من خلال كتاب الونشريسي والمنهج المنتخب.

والله الموفق للصواب.

الهوامش :

- ¹ - إيضاح المسالك. (5). تحقيق: أحمد أبو طاهر الخطابي الناشر: مطبعة فضالة المحمدية، سنة النشر 1400هـ/ 1980م.
- ² - ينظر: الجمان؛ ضمن مجموعة من مؤلفات الشيخ محمد المامي (462).
- ³ - ترجمته في: "بغية الرواد"؛ ليحيى بن خلدون (121)، "الإحاطة" لابن الخطيب. (191/2)، "وفيات الونشريسي"، (122)، "الديباج المذهب" لابن فرحون، (288)، "نيل الابتهاج. للتنبكي، (249)، "نفح الطيب" (204/7)، للمقري، الحفيد؛ صاحب الإضاءة.
- ⁴ - تلمسان، بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها المثلثون ملوك المغرب، واسمها تافروزت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير، يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر، ويكون بتلمسان الخيل الراشدية، لها فضل على سائر الخيل، وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعا من الكتابيش لا توجد في غيرها، ومنها إلى وهران مرحلة، ويزعم بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر، عليه السلام، الجدار المذكور في القرآن، سمعته ممن رأى هذه المدينة وينسب إليها قوم، منهم: أبو الحسين خطّاب بن أحمد بن خطّاب بن خليفة التلمساني، ورد بغداد في حدود سنة 520، كان شاعرا جيّد الشعر قاله أبو سعد. معجم البلدان، ياقوت الحموي، (44/2)
- ⁵ - المقري، الحفيد، نفح الطيب، (207.5)
- ⁶ - البستان لابن مريم، (155)
- ⁷ - توجد نسخة خطية من الكتاب بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: (م/2687).
- ⁸ - توجد نسخة خطية من هذا الكتاب بالمكتبة الوطنية بالجزائر؛ ضمن مجموع رقم (2705)
- ⁹ - كتاب المقري لا زال مخطوطا، وتوجد منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس، تحت رقم: (24203)، وقد حقق منه جزء من قبل الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد، أحد أئمة الحرم المكي، وقد طبع من قبل معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، التابع لجامعة أم القرى
- ¹⁰ - توشيح الديباج (248). دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ، 1403- 1983.
- ¹¹ - أبو عبد الله المقري، مخطوط. أول وجه، من أول صفحة. مكتبة تونس الوطنية، رقم: 24203
- ¹² - يقصد به الإمام الشافعي؛ محمد بن إدريس الشافعي (ت204). وهو أحد الأئمة الأربعة؛ غني عن التعريف. ينظر: البداية والنهاية: (10/251؟254).
- ¹³ - أبو عبد الله المقري، أول وجه من المخطوط، مخطوط مكتبة تونس الوطنية رقم: 24203 ينظر المطبوع، قواعد المقري، (214-215). تحقيق: أحمد بن عبد الله بن حميد.
- ¹⁴ - ترجمته في نيل الابتهاج في تطريز الديباج لأحمد باب التنبكي . (187). والبستان (53). والسلسلة (153/2).
- ¹⁵ - ينظر: إيضاح المسالك في قواعد مذهب مالك" (54)
- ¹⁶ - الكتاب مطبوع، تحقيق: سالم أنيس والحسن بوقدون. دار ابن حزم، بيروت لبنان. الطبعة الأولى 1427 / 2007.
- ¹⁷ - الكتاب مطبوع من قبل وزارة الشؤون الإسلامية ، المغربية (1401.1981)

- 18- وقد حققه الدكتور الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، 2006.1426.
- 19- أبو العباس الونشريسي، إيضاح المسالك في قواعد أبي عبد الله مالك (135). تحقيق: أحمد أبو طاهر الخطابي.
- 20- ينظر: نفح الطيب، (341/5).
- 21- الونشريسي، إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك. (120). تحقيق: أحمد بوطاهر الخطابي،
22-
- 23- الونشريسي، إيضاح المسالك، (136.140).
- 24- ترجمته في: أخبار مكناس 1: 319، وسلوة الأنفاس 3: 60، وبروكلمان 11: 697، وفهرس الفهارس 2: 6. ومعجم المؤلفين 2: 10. وذكر ترجمته مختصرة في "وجه الابتهاج" ص 79
- 25- نيل الابتهاج. للتبكي، (143).
- 26- ينظر: شرح المنجور، (1/ 230.232).
- 27- وقد تقدمت الإشارة إليه في الحديث عن المنهج المنتخب.
- 28- ترجمته في نيل الابتهاج لأحمد باب التبكي (168.173). هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب، أبو المودة ضياء الدين المتوفي (776. وقيل 769)
- 29- راجع ترجمته: ابن زيدان، عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بأعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، طامطبعة الوطنية، الرباط، 1347هـ، (396/395/5). وموسوعة أعلام المغرب. (2400/7)، الزركلي، الأعلام. (44/4)، وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. (300/5). ابن زيدان، عبد الرحمن، طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الغرب، 1430هـ/2009م، (191/2).
- 30- ينظر: شرح السجلماسي، الجزء الأول، (19) تحقيق محمد عبد الله الشواف، جامعة شنقيط العصرية 2015 م.
- 31- ينظر: شرح السجلماسي، على تكميل ميارة الفاسي. (213) دراسة وتحقيق محمد عبد الله الشواف. جامعة الزيتونة (2021)
- 32- هذا شطر من الخلاصة النحوية، المسماة "ألفية ابن مالك"، والبيت بتمامه. وهو من باب المبتدأ.
- ورغبة في الخير خير وعمل... بريزين واليقس ما لم يقل.
- 33- تحقيق: الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأمين (حفيد المؤلف). الناشر: دار الكتب المصرية. دار الكتب اللبنانية، بدون تاريخ.
- 34- ينظر: المنهج إلى المنهج. (9). المصدر السابق.
- 35- تنظر ترجمته في "المنهج إلى المنهج". (7. 17).
- 36- محمد الأمين بن أحمد زيدان. المنهج إلى المنهج. (19)
- 37- وقد تقدم أن شرح المنجور أصبح معتمد من جاء بعده؛ لدقة نقله. وسعة علم صاحبه..
- 38- المصدر السابق نفس الصفحة.
- 39- المصدر السابق. (35. 36)
- 40- ترجمته: ابن القاضي المكساي، أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، سنة: 1973م، (1/
- 41- نظم النور المقتبس من قواعد مالك ابن أنس. (23). تحقيق: سالم أنيس والحسان بوقدون.

- 42- ينظر: شرح السجلмасي على تكميل ميارة الفاسي. دراسة وتحقيق. محمد عبد الله الشواف.
- 43- الزقاق، علي، نظم المنهج المنتخب، البيت رقم: (20)، وتماه قوله: أوضده كما بتحقيق علم.
- 44- الزقاق، نظم المنهج المنتخب، البيت رقم: (265)، وتماه قوله: أو عكسه أصل لذاك ما علم.
- قال المنجور (995) في شرحه لهذه الأبيات "هذا ابتداء القسم الثاني من القواعد، وهو ما قصد به ذكر النظائر والفروع، التي تدخل تحت أصل واحد، من غير إشارة إلى خلاف، ولذا عبر عنه بفصل...". المنجور، شرح المنهج. تحقيق: محمد محمد الأمين. أطروحة دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الناشر: دار عبد الله الشنقيطي. بدون تاريخ، (2\468)
- 45- الجزء الأول من شرح السجلмасي، (21-22)، تحقيق: محمد عبد الله الشواف. جامعة شنقيط العصرية.
- 46- الزقاق، علي بن قاسم، نظم المنهج المنتخب، الأبيات من (5\8)
- 47- ينظر: مفيد المطلب في المنهج المنتخب، الشيخ محمد الحسن بن أحمد الخديم. (11\12). دار التيسير للنشر والتوزيع
- 48- فهرس المنجور. ص: 58.
- 49- الكتاب مطبوع ومتداول، فقد طبع في السعودية، تحقيق: محمد محمد الأمين. من قبل دار عبد الله الشنقيطي، وله طبعات أخرى، ولدي لله الحمد نسخة خطية منه، وهو متداول بكثرة في المحاضر الشنقيطية.
- 50- وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الشرح.
- 51- المقرئ، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، 388هـ/1968م، (2\497)، الحجوي، الفكر السامي: (2\278).
- 52- مرقون بدار الحديث الحسنية بالرباط، حققه عبد النعيم حميتي في رسالة دبلوم الدراسات العليا.
- 53- كما جاء في الفهرس الشامل تحت رقم: 152. وهو معروف متوفر في المحاضر الموريتانية (مخطوط) ويسى "شرح السجلмасي على المنهج"،
- 54- مطبوع بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. 1433 هـ/ 2012.
- 55- الونشريسي، أبو محمد عبد الله (ت955هـ)، النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس "نظم إيضاح المسالك"، تحقيق: سالم أنيس و الحسن بوقدون، دار ابن حزم. بيروت. لبنان، ط1، 1437 هـ/ 2016م. ص: 8.
- 56- مطبوع عدّة طبعات ومتداول.
- 57- مراجعة وتصحيح: حمزة أبو فارس وعبد اللطيف قنباشة. الناشر: دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع؛ طرابلس ليبيا، سنة 1997.
- 58- محمد المامي، صداق الواعد، الأبيات (6\13).
- 59- مقدمة في علم التبريع. (1\2)؛ ينظر: تحقيق "صداق القواعد وشرحه. (86)
- 60- محمد المامي، كتاب البادية؛ ضمن مجموعة من المؤلفات للمؤلف. (216)
- 61- محمد المامي، نظم مختصر خليل. السلطانية، (خاتمة نظم مختصر خليل). (415)
- 62- الكتاب مطبوع من قبل مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، (1427 هـ. 2006)
- 63- تحقيق ونشر مكتبة الولاتي. 2006 مينظر: محمد يحيى الولاتي، الدليل الماهر الناصح. (11).

⁶⁴- وهي ثاني أكبر مدينة في المملكة المغربية بعد الدار البيضاء. ينظر: معجم البلدان لياقوت لن عبد الله الحموي، (126/2). دار صادر. بيروت، 1995م.

⁶⁵- ترجمته: الأفراني، محمد الصّغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، 2006م، ص(140). مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (309/1). الحجوي، محمد، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان الطبعة: الأولى - 1416هـ - 1995م، (273/2). الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دت، (6/11-12).
(⁶⁶) - في هذا الشرط اشتمل الدعاء على مسألتين:

إحداهما: أن يختم له بالمدينة التي عاش فيها، وهي مدينة فاس.
ثانيتهما: أن يختم له بالحسنى، أما الأولى فقد شهدنا عليها لموته بالمدينة، وأما الثانية فهي في علم الغيب، ولكن نسأل الله الكريم أن يحققها لنا وله.

⁶⁷- انظر: الروض المبهج بشرح بستان فكر المهج. (350). تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. دار الكتل العلمية، لبنان. 2010م .

⁶⁸- قد حقق هذا الشرح عدة تحقیقات، منها: . تحقيق محمد فرج الزائدي. 2001
. تحقيق: محمد أحمد محمد أحمد إسماعيل. 2010
وله مخطوطات، منها:

نسختان من مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس، إحداهما برقم: (150001)
والثانية برقم: (0950)

⁶⁹- تحقيق: سالم أنيس و الحسن بن قدون. دار ابن حزم. 2016م.

⁷⁰- ترجمته في: نيل الابتهاج. (1/ 322/324)، وشجرة النور الزكية: (160).

⁷¹- (5/ 30). ينظر: الاستقصا للناصري،

⁷²- النور المقتبس من قواعد مالك ابن أنس. (73).